القيم الرّوحية في شعر عمر بهاء الدين الأميري

Spiritual values in the poetry of Omar Baha al-Din al-Amiri

الأستاذ الدكتور لاطرش عبد الله

بروفيسور، المركز الجامعي علي كافي تندوف –الجزائر

Aboubelsam13@gmail.com

ABSTRACT

Umar Bahauddin Al Amiri was a Syrian poet and a diplomat from the city of Aleppo, was a member of Muslim brotherhood and a sufi. He served as ambassador of Syria in Pakistan and Kingdom of Saudia Arabia. His poetry was characterized for its emotions, nature, beauty, freedom, love, happiness and religion. The poetry of the Amiri is in its essence based on the multiple spiritual values through which a person seeks perfection and majesty, and seeks emotional stability, mental clarity, beauty of the building and meaning in his life. It is known that poetry is one of the most important arts which talk about virtues and it is who seduces souls with it. The most important work of poetry is to create spiritual response in the recipient through different experiences, imaginations and artistic influences. In this study, we tried to understand poetry of Amiri and those high spiritual values and why he brought them to his poetry and what is reason behind his preaching of those values through his poetry.

Key words: Amiri, Values, Spirituality, Poetry, Beauty.

ملخص:

إنّ أشعار الأميري جاءت في مجملها تنبض بالقيم الرّوحية المتعدّدة التّي يسعى الإنسان من خلالها إلى الكمال والجلال، وينشد الاستقرار العاطفي والصّفاء الذّهني وجمال المبنى والمعنى في حياته، ولأنّ " الشّعر من أهم الفنون الجميلة التي تتغنّى بالفضائل وتحتفظ بها، بل إنه هو الذي يغري النفوس بها، من خلال ما يفعله من تجارب وتخيّلات ومؤثرات فنية، وذلك أنّ أهمّ وظائف الشّعر هي خلق استجابة روحيّة عند المتلقي، ومن خلال هذه الاستجابة تتولّد وظائف أخرى للشّعر، مثل تشكيل موقف أخلاقي أو سلوكي في نفس المتلقي، وبهذا يتبّين لنا أهمية هذه الوظيفة في تحقيق الجمال بكافّة أنواعه.

كلمات مفتاحية: الأميري، قيم، الروحية، الشعر، الجمال.

أولا- مقدمة:

عندما نتحدث عن القيم الروحية نتلمّس اهتمام شاعرنا بها في ديوانه الشعري، فإننّا نتحدث عن الجمال، الحرية، المحبة والحب، السّعادة والفرح، اليقين واثبات الذّات، الإخلاص وحسن القصد، السّمو والرّفعة، الصّفاء والطّمأنينة، الإرادة والعزيمة، حبّ الأوطان والذّود عنها...الخ.

إننا في هذا المقال نحاول الوقوف على فهم واستشعار الأميري لهذه القيم الروحية العالية ، وكيف عالجها وماهي رؤيته لها، ولماذا بشر بها؟

فرش:

لابّد أن نعرّف الرّوح؟ وما صفاتها ؟ وما علاقتها بالإيمان والأخلاق؟ ما هي في كتاب المسلمين (القرآن)، وهل ثمّة فرق بينها وبين النّفس؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المعرفيّة التّي ترافقنا في هذا العنصر، وكيف اعتنى الأميري به في شعره؟

يقول المولى عزّ وجل: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)[1].

لقد وردت كلمة الرّوح في الكتاب العزيز على معان عدّة، نذكر منها:

1- الأمر: قال تعالى: "وروحٌ منه' .[2]

2- الوحي: قال تعالى: "يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ".[3]

3- القرآن: قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا".[4]

4-الرحمة: قال تعالى:" وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ".[5]

5- الحياة: قال تعالى:" فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ".[6]

6- جبريل عليه السلام: قال تعالى: " فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا".[7]

7- ملك عظيم: قال تعالى:" يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ".[8]

8- جنس من الملائكة: قال تعالى: "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فيها".[9]

وغيرها من المعاني التي -تقترب أو تبتعد- من فهم أنّ البعد الرّوحي مرتبط بالإيمان والاعتقاد، لأنّ الرّوح هو ما يقوم به الجسد وتكون به الحياة.

وقال بعض المتصوّفة: " لا نعلم حقيقته، ولا يصحّ وصفه، وهو ممّا جهل العباد بعلمه، مع التيّقن بوجوده".[10]

تحدّث كثير من العلماء والباحثين عن صفات الرّوح، ويمكن الوقوف على بعضها:

أ) علويّة مقدّسة من الله وإليه ترجع، ينزلها بواسطة ملاك على منه يشاء، ثم ينزل ملاكاً آخر ليقبضها متى يشاء، والروح عطيّة من الله، وهي موجودة في البدن تفارقه عندما يعود إلى الأرض.

ب) حرّة طليقة تتجاوز حدود الجسد، فلا بدّ من أن تنأى حتى تتخلص من الضعف، وتطير حرّة لأنّها تهوى الرّحب، وتترك وراءها جسداً باليا.

ج) هي المحرّك الأوّل للإنسان والدّافع الأعلى للحياة المثلى، وهي قبس من الله، ولابدّ لذلك القبس أن يقوى على الجسد، حتّى يستطيع أن يرتقي إلى محبّة الله وخشيته.

د) مجهولة ولا يعلم جوهرها إلاّ الله تعالى..[11]

ثانيا-القيم الرّوحية في شعره:

أ/ الجمال:

وهو التّناسب بين أجزاء الهيئات، سواء أكان في المادّيات أم في المعقولات، في الحقائق أم الخيالات، ومنه أنّ الصّوت الجميل لا يكون جميلا إلاّ للتّناسب بين نغماته، والجمال نوعان: شكليّ (المظهر)، وباطنيّ(الجوهر)،فأمّا الشكليّ أو الماديّ فهو ما يدرك بالحواس، وأمّا الباطنيّ أو المعنوي فهو ما يتصل بالرّوحيات وأداة إحساسها القلب، وهو بدوره ينقسم إلى قسمين:

1/ الجمال العقلي: ويدرك بالعقل كالحكمة والتأمّل والتّفكير...

2/ الجمال الرّوحي: كالتقوى والحياء و الهيبة ...

فالإنسان إذا أدرك الجمال غمرته السّعادة والسّكينة، وفي محبة الجميل لذة خاصة جدا –يعرفها أهلها- وهي قضية وجدانيّة لها تسميات أخرى كالبهجة والسّرور، وطيب النّفس، وقرّة العين، وراحة البال، وصفاء النّفس...الخ، والجمال مرتبط بالإيمان وفكرة الخير والعدل، فهو حاجة إيمانية من الأساس مرتبطة بحياة الإنسان (خاصّة المسلم) الرّوحية والمادّية.[12]

والقرآن الكريم يعطينا وصفاً لجزء من الجمال، ولكن بصورة رائعة وإخراج بديع، يقول عزّ وجل: " وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[13].

ويشير الأميري إلى أنّ الجمال قيمة روحية، تنبع من إحساس الشّاعر وفاعلية روحه اتجاه خالقه، لذا فإنّه يرى حقيقة الجمال الإلهي في دجى الليّل ، فإذا لم تره العين فإنّ القلب ينظره، يقول:

كلّما أمعن الدّجى وتحالك شمتُ في غوره الرّهيب جلالك

وتراءت لعين قلبي برايا من جمال آنستُ فيها جمالك

وترامى لمسمع الروح همسٌ من شفاه النجوم يتلو الثّنا لك

واعتراني تولهٌ وخشوعٌ واحتواني الشّعور أنّي حيالك

ما تمالكت أن يخرّ كياني ساجدًا واجدًا ومن يتمالك ![14]

ويقرّر الأميري أن كلّ ما في الكون من حسن وجمال هو صدى لجمال الخالق تبارك وتعالى، يقول:

ترقد الدّنيا ويحويها الظلام فينام الحسّ في النّاس النّيام

وعيون الحسن تبقى أبداً في خلايا الكون يقظى لا تنام

لا تراها غير نفسٍ أرِقت من لظى الوجد وتبريح الغرام

سرحت تلتمس الطبَّ، وفي بهجة الحسن شفاءٌ وسلام[15]

والجمال الإلهي حالة روحيّة عظيمة ، يفقهها المؤمن حينما تقف عينه على منظر جميل أو تلامس يده شيئاً جميلاً أو يسمع لصوت في الكون يشدوا بأعذب الألحان، يقول:

التّجلّي يشعّ في الكون نورا عجبا، من طبيعة الأنوار

يتصدّى المقدار منه لشيءٍ فتراه يسمو بلا مقدار

نفحات النّسيم ، سجع الشوادى الشذا والبهاء في الأزهار

الكمال الوضاء في كلّ خلق لذّة لا تشام بالأبصار[16]

ويحلّق الشّاعر في جنبات الكون إذ يتغنى بنفحات وروحانية "**الفجر**" مرهفًا الحسّ مستمعًا لنجاواه، يقول:

بادر الفجر واشتمل بإزاره وتمتّع بالحسن في أغواره

ودع الهيكل التّرابي حينا واسر بالرّوح في مدى مضماره

واتّجه في كيانك الطّلق واسرح في هواه، وفي رؤى أفكاره

سترى غرّة ليوم جديد كان في الغيب وانبرى من ستاره.[17]

ب/ الحرية والسّيادة:

إنّ الحرية صفة للنفس السّيدة، و الرّوح القوية، و الإرادة الصّلبة فتصبح النّفس حرّة إذا تحرّرت من شهواتها وملذّاتها الحيوانية الطّائشة، وسمت محلّقة في فضاء المعالي مبتعدة عن المتعلّقات الأرضية الجاذبة.

إنّ شاعرنا بمخيلته البديعة يجعل من الأيمان بالله عزّ وجلّ دافعًا للإنسان ليتحرّر فتقوى عزّته وكرامته، لأنّ الإيمان بالخالق يحرّك الرّوح نحو المعالي والتّسامي والترفّع "ففي لحظة السّجود حيث تلتقي جبهة الإنسان المؤمن بالأرض تسمو الرّوح وتحلّق متجاورة الاعتبارات الأرضية وضرورات المادة إلى عالم الرّوح ، حيث تقترب الرّوح من بارئها فترى من صفاته وعظمته مالا تراه العيون، التي تنتهي من رؤيتها إلى معالم أو حدود مادية "[18]، يقول:

تمتدّ بالأبصار آفاقها إلى التقاءات السّما بالثرى

ويبلغ التمييز غايته عند حدود الأفق المفترى

لكنّ أهل الله تسري بهم بصائر الإيمان أنّى تسرى

تجتاز بالأرواح دنيا الفنا حتى ترى في الله ما لا يُرى[19]

ويتحدّث عن نفسه في تجربة فريدة حينما يرتفع عن الصّغائر، لاجئا إلى السّلوك الحسن والطّبع الجميل وصدق الإخلاص لله عزّ وجل في هذه الطفرة الرّوحية الغالية، يهرب من المحيط السّيئ ويحلّق عاليا في عالم القيم فترتاح النّفس وتستقر الرّوح، وإلاّ فهو الغريب الشّريد إذا ابتعد عن هذا العالم الفسيح الذي لا حدود له، يقول في " **عزلة الأحرار**":

قالوا اعتزلت فقلت: صنت كرامتي ولزمت في رهج الزّحام إبائي

لاءمت بين تصرّفي وسجيتي وحفظت حقّ الله والعلياء

وذخرت نفسي للعظائم صابراً وطويت عن ذلّ الصّغار ردائي

قالوا: ألست تملُّ؟ قلت: يُمل من قصرت أخادعه عن الجوزاء

إنّي لأغمض أعيني ومسامعي هرباً من الأبهاء والضوضاء[20]

ولأن الكيان حامل للرّوح، مدافع عن هذه المعاني العليا للحرية، فلا يجب إهماله وتركه عرضة للخمول والتّيه، يقول:

غضبي على نفسي لأنّي لا أُوَفّي القلب حقّه

أرضى الخمول له وأهمل شوقه، وأعقّ ذوقه

أحيا، كأنّ لا قلب لي يهوى الجمالَ... يذوبُ رقّه

والقلب بين الرّب، صاغ من السّنا والعشق خفقهْ

فلو انطلقت به لحلّق بي، وحلَّق دون رِبْقه[21]

ليؤكد صفة الإنسان الحقّ واصفا إيّاه بالحرّ، يذكّره بوظيفته في هذه الدنيا كخليفة داعياً إياه للفهم وإدراك هذه الرّسالة،

يقول:

يا عبد خلاّق العوالم أنت.. أنت الحرّ، فافقه

انت الخليفة.... إنّما لمدىً، وقد كوّنت وفقه

يتسلسل الدّوران فيه وأنت في الدوران حلقه

فاعرف حدودك وهي معراج فسيح البّون وارقه

والعقل ميزان النّهى واقبس منه صدقه

والقلب.. عافية الكيان وليس يرضى العقل خنقه

طهّره بالتّقوى، ودعه لوجده...ليبرّ عشقه[22]

وعندما يدعو الشّاعر إلى أن تحرّر النّفس من مغبّاتها وقيودها، يحذّر أيضا من معاوينها ويدعو للتحرّر من قبضة الشّيطان، والحذر من غواياته وطرائقه المضلّلة، يقول:

حذار يا شيطان جسمي حذار فهذه أيام شدّ الإزارِ

يدنو بها المذنب من ربّه في غمرة من خشية وإذكار

يعتزم التّوبة من ذنبه مستغفرًا في ذلّة وانكسار[23]

إنّ الحرّية عنده تحمل مفهوم الهروب واللّجوء إلى الله في سكينة ووقار، يقول:

والقلب إن حررّته لله تنجُ من المعقّه

هو مضغة، لكن صلاحك فيه إن أدركت عمقه[24]

فأجمل تجليات الحرّية حين يكون الإنسان عبداً لله، يقول:

وسلوك العبد حرٌ مطلق، وهو رهين.[25]

يرى الأميري أنّ من مقوّمات الحرّية اعتماد الإنسان الحرّ على الله والثّقة به، وقوة الإرادة المحقّقة للتغيير الإيجابي وروح المبادرة والأخذ بزمامها، فيتحقّق المجد والرّفعة، يقول:

عليك وحد – بعد الله- فاعتمد وانهض بعبئك لا تلوى على أحد

ألست حرًّ وزاد الحرّ همته القعساء في روخ عيش كان أو كبد

فاكبح تردّدها واقدح توقدها و إن خبوت فلذ بالله واتقد

فذروة المجد للحرّ الأبيّ على مدى الحياة ورأس الرُّشدِ والرَشَدِ.[26]

إنّ الأميري يتنفسّ "حرية" في أشعاره وأناشيده، فيصف فيما موطن نفسه بأنّه "الحرّ" اشتياقا للحرية من جهة في محيطه وأمّته، وتمجيدا لها كقيمة تعلو بالإنسان عن سفاسفه و جواذب الأرض، يقول في قصيدة "رون وشجون":

يا رَبُّ ما أنّافي الحَياةِ وَما الحَياةُ وَرُونُها

أهيَ الصَّوابُ أم السَّرابُ أم المنى مَجنونُها؟

مالي قَد اجتَذَبَتْ خُطايَ مِن السُّهولِ حُزونُها

وَمُنَغِّصاتُ الحُرِّ هَزَّتْ لِلنِّطاحِ قُرونُها[27]

ت - المحبّة وحبّ الخير:

يقول عزّ وجل: (**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**).[28]

ويقول سبحانه: (**وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**).[29]

فذكر المحبّة ومشتقاتها، وحبّ الخير للإنسان وغيره متنوعة كثيرة، فقد حفل بها القرآن الكريم وجعلها خالدة الذّكر، لأنّ المحبة قيمة رّوحية وسلوك المتحضرين وهي رابطة بين الإنسان وبين ما يحبّ، فمن معانيها: الصّفاء والنّقاء والعلو والظّهور واللّزوم والثّبات .. [30].

والمحبّة أنواع:

- محبّة الله: وهي حالة إيمانية عقدية
- محبّة الإنسان لمثله من بني الإنسان: وهي حالة اجتماعية
- محبّة الكون من حولنا بما فيه: وهي حالة شعورية نفسية
- محبّة الأوطان: وهي حالة ارتباط بالمكان والمضارب.
- محبّة الأشياء: وهي حالة غريزية، ..الخ

فالمحبّة في كلّ الأحوال حالة شعورية تجلب السّرور والحبور، تنتج الحبّ والمحبّة، وتشيع الصّفاء والنّقاء، كما تريح النّفس والذّهن ولذلك احتفى بها الأميري في أشعاره، ودعا النّاس لها، يقول:

في تناجي القلوب بالحبّ رَوَحٌ فيه للرّوح والحشا خير قوت

فيه صفوٌ ونشوة وهناء وانطلاق من الأسى المكبوت

حين تُصغِي بعض القلوب لبعض في الحديث النقّي أو في السّكوت

يشرق الله بالصفاء عليها وينادي أعماقها: هل رضيتِ؟

في تناجي القلوب بالحبّ سرٌّ يتسامى بها إلى الملكوت.[31]

فبالحبّ والمحبّة تحصل السكينة ويأتي الفرج، وبجذوته المتّقدة تنزاح الظّلمات ويأتي الفجر بأنواره وأشواقه، يقول:

والحبُّ بَدْعٌ من صنائعها فيه تردُّ الرُّوح والرّمق

سرٌ له حرٌّ ... لواعجه بلهيبها يتبدّد الوهق

لا نار تحرق فيه بل نفس يحيي النفوس، كأنّه فلق

فرج من الأزمات منبلجٌ فجر من الظلمات منبثق

حرٌّ ...سلام كلما اتقدت جذواته تُطفى به الحرَق.[32]

ويزعم أن له في الحبّ مذهبا في قصيدة رائعة عنونها بالفكرة نفسها " **على مذهب الحبّ**" بأسلوب حواريّ شيّق، يقول:

وقائلة: بادر صلاتك مسرعاً لقد كاد وقت الفجر أن يتسرّبا

فقلتُ: صلاتي وقتها العمر كلّه ومشرقه في الحبّ عانق مغربا

حريص عليها أن أقيم أداءها ولا أبتغي منها سوى الله مأربا

فقالت: وهذا الحكم في أي مذهب فقلت: كفى بالحبّ للصبّ مذهبا[33]

فهو هنا يعالج التعصّب والتطرّف بالحبّ، ويرى أن الحبّ مقدّم على تفوق مذهب على آخر، أو طائفة على أخرى ولذلك نجده يعمّق الأمر ويوسع مجاله، يقول:

فقالت: ألستم أسرةً حَنَفيّةً فقلت: اعتناقي ليس أمّا ولا أبا

مذاهب دين الله شتّى وكلّها لها الفضل– مادامت على الحقّ تجتبى-

وأمّا أنا فالحبّ في الله مشربي وأكرم به بين المذاهب مشربا

تصلي به ذرّاتُ قلبي خافقا ويحيا جنابي، بل كياني مؤدّبا

أناجي به ربي الحبيب مولّها وأرفع رأسي خاشعاً متأدّبا

وأشعر في أجوائه برضا التُّقى بريئا بلا ذنب ولو كنتُ مذنبا. [34]

ولذكرى المقام النبويّ أشواقه وأصداؤه، فلذاك الحبّ ولتلك المحبّة خواطر ولواعج، يقول:

حيالك والنور يجلو المهج وقفت وقلبي بحب اعتلج

ورمتُ السّلام ورمت الكلام عصاني بياني، لساني اختلج

شرقت بغمي شهقتُ وهمي كأنّيَ به في شهيقي ولج

وخامر روحي وأورى جروحي وفي نبضات كياني امتزج

دعوت حبيبي وخفق وجيبي أراويح منهل يضجّ الثّبج

وناديتُ ركضا: إلهي ...إلهي ونجم السّماء بدربي رهج[35]

ث- السّعادة:

قال تعالى: (**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**).[36]

فالسّعيد نقيضه الشّقي، والسّعادة خلاف الشقاوة، وسعديك؛ أسعدك الله إسعادا بعد إسعاد، وأصل الإسعاد متابعة العبد أمر ربّه ورضاه.[37]

السّعادة شعور في النّفس، وراحة في البال، وصفاء في الذّهن، وهي قيمة روحية عالية، يتطلّع لها بنو الإنسان، ويرومون إدراكها، وهي لا تكون بالبدن فقد يكون الإنسان عليلا فقيرا لكنّه سعيد لدرجة عالية بما تحمله روحه من تسليم ورضا وإيمان وهدى، فالسّعادة سعي روحيّ متواصل، يبتغي به الإنسان تحقيق السمو والطّمأنينة.

ولم تفت هذه الفكرة الأميري، فاهتم بها ومنحها من عذب بيانه ورقّة أسلوبه واتّساع خياله ما جعلها واضحة في أشعاره، إنّه يرى أنّ اتصاله الدّائم بالله عزّ وجل سبب أساس في تحقيق سعادته وراحة نفسه وسكونها، يقول:

في وحدتي؛ والرّوح في أعماقه نصب وغربه

أرسلتُ نفسي في فِجاج اللّيل، والآفاق رحبه

فاستشعرتُ بالله نفح سكينة في القلب رطبه

في وحدتي؛ ارتوتْ الجوارحُ من ندى تلك السّكينه.[38]

يرى الأميري أنّ الصّلاة بما تحقّقه من سكينة وراحة، لأنّها طريق السّعادة وصفاء الرّوح وجمالها، ولأنّها صلة الإنسان بربّه وخالقه، يقول:

أنا والمحراب على شفق وحبور بل فوق حبور

في سجدة روحٍ والهةٍ في التّوبة لاذت بغفور

لم أبق أنا أصبحت سنًا ينساب مع العين الحور.[39]

يجتهد الأميري في وصف الخطوات التي يقيمها الباحث عن السّعادة والطمأنينة، فيدعوه إلى الالتزام بالآتي:

لو أخذ الإنسان في يومه لغده، العبرة من أمسه

وأنفذ النّظرة عبر النُّهى تقر أسرّ الغيب في طرسهِ

وأرهف السّمع وراء الِحجا يصغى إلى المقدور في جرسه

لاستشعر الرّوع طمأنينة وشام وجه الأنس في بؤسه

وسلّم الأمر إلى رحمةٍ يكتبها الله على نفسه[40]

ج - اليقين:

القلب الذي يتسرّب إليه اليقين يسكن ويرتاح، فاليقين: "هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يتحوّل، ولا يتغيّر في القلب".[41]

كما أنّه" العلم الذي لا يدخل صاحبه ريب على مطلق العرف، ولا يطلق في وصف الحق سبحانه لعد التوفيق"[42].

قال تعالى : " إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ"[43]

من هنا يؤكّد الشّاعر بأنّ اليقين درجة سامية من الدرجات التي تسمو إليها الرّوح، فترفع صاحبها إلى أن يكون نموذجا إنسانيّا صالحا.

إن اليقين عنده قاعدة صلبة يقف عليها الإنسان منتصرًا على شهواته وغرائزه وأطماعه التي لا تفنى ولا تنتهي، يقول:

يقينيَ بالله يسمو بروحي كأنّي معاذٌ أوَ أنّي أوَيْسْ

ويرتدُّ بعد قليلٍ جَنَاني جَمْوحاً شروداً كأنيَ قَيْسْ

يُجَنُّ بقلبي الهوى كلَّما تراءى له في ظلامي قُبَيْسْ

وأنَّى رأى بارقاً مائِساً تَعَلَّقَ منه بأطياف مَيْسْ

يُحَرِّقُ قلبيَ هذا الصراع أليس لقلبي نجاةٌ، أليسْ![44]

إنّ اليقين يقوي روحه التّي تحلّق في فضاء الإيمان والسّعادة، حينما يكون قريبا من ربّه، فخياله القدسيّ يحتويه ويضمّه اليقين بهذه القدرة الغيبيّة القادرة على كل شيء.

يقول في قصيدته" **يا الله**":

ولقد تَثقلُ الهمومُ على القلبِ وتُوحي إليه مُرَّ أساهُ

فإذا أشرقَ اليقينُ على المَرْءِ فنادى في الكربِ: يا أَللهُ

وبَدَتْ مِلءَ رُوحهِ وجِجاهُ وغَدَتْ في اللسانِ هِجيراهُ

أصبحَ الهمُّ قُربةً وسُكوناً الرّضا بالقضاءِ رَجعُ صَداه

وتجلّى الرحمانُ بالعَزم والتثبيتِ فالمرءُ صابرٌ أوّاهُ[45]

ح - الإخلاص:

وهو في اللغة: التّصفية وتمييز الشّيء عن غيره، والخالص كل شيء أبيض، والخلاصة ما خلص من الشّيء نقياً، وأخلص العبد لله ترك الرّياء، وأخلص الرجل السّمن أخذ خلاصته، وخالص فلان فلاناً صافاه، واستخلصه لنفسه بالمودّة.

وفي الاصطلاح: إخلاص العبادة لله سبحانه، وتجريد قصد التقرّب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب والعلائق والأغراض.[46]

وإذًا: فالمعنى الجوهري لهذه القيمة أنّها تعني صفاء ونقاء الموقف الإنساني اتجاه أمر ما.

والإخلاص جوانبه متعددة وكثيرة، فهناك:

- إخلاص العبد لربّه؛ بمعنى إفراده بالعبودية والتّنزيه.
- إخلاص المسلم لنبيّه: حبّه عليه الصّلاة والسّلام وإتّباع سنّته.
- إخلاص الإنسان لأخيه الإنسان: احترامه، ومودّته وحبّ الخير له.
- إخلاص الإنسان لوطنه وأمّته: الدّفاع عنه، والعمل على تنميته وتطويره.
- إخلاص الإنسان لأهله: رعايتهم وحبّهم ودفعهم ليتعاونوا على الخير والبرّ.

إنّ الأميري اعتنى بهذه القيمة السّامية واحتفى بها في أشعاره وترنيماته وكان على رأسها الإخلاص لله ربّ العالمين، مفتاح كلّ خير، وسبيل كلّ رشد، فمن أخلص في رابطته مع خالقه أفلح وفاز، بل نما وسما، يقول:

يا مَعانيْ اللهِ في نفسيْ وروحيْ وضميريْ حلّقي وارتقي فوقَ سماواتِ الأَثيرِ

أشرِقي وهّاجةً في غورِ قلبيْ ووجودي والبثي وضّاءةً في ليلِ عمريْ وأنَيري

وتجلَّي لِجبالِ الهمِّ تجثو فوقَ صدريْ فلقد أرهقَ صدريْ حملُ همٍّ مُستطِيرِ

غايةُ القصدِ ومَنْ أقصدهُ ربٌّ كبيرٌ جَذْبةٌ تُنعمُني بالقربِ من ربٍّ كبير.[47]

يعطي الأميري لفكرة الإخلاص معنى جميل، فيحلّق به بأسلوب تخييلي إلى أبعد مدى، يعرّفه بالتّسليم مع التّصميم فيما هو مقبل عليه في أمور دينيه ودنياه، يقول:

تشبث تسليمي ...وسلّم تصميمي وتمّ اتكالي ...باعتزام وتنظيم...

هو العقل أسمى ما سموت بنوره هو القلب أغلى ما يحقق تكريمي

هما عدّتي، استخلفت .. كنت مخولا بجدواهما، لولاهما اختّل تقويمي

بسرّهما كوّنت: عبدا ... محرّرا لربي، وهذ اسر مجدي وتعظيمي[48]

ولأنّ الإخلاص محله القلب والتوجيه للعقل، كان لابد من رعايتهما والنظر إليهما وتحكيمها في مسيرة الإنسان، ينبّهنا الأميري في بعض أشعاره إلى أنّ الإخلاص سمته وشعاره، به ينتصر على شوائب النّفس الأمّارة بالسّوء، يقول:

آلاؤك يا رحمن عوالم ضاق الأمر أم اتّسعَا

فأنا –وعلى عجزي- كنهي الإخلاص وكم ألقى طبعَا

فصفائي والكدرات من الأيّام به تبقى بقعا

لكن سكينة أعماقي غلبت، مسحت يدها الفزعا

كنُهى الإخلاص لوجهك يا ربّي وأتيتك متّضعا

فتقبّل عبدك يا رحمن فعبدك حرّ قد طمعَا.[49]

خ -السّمو:

الارتفاع والعلوّ، وسما الشّيء فهو سامٍ أي ارتفع وسما به وأسماه وأعلاه.[50]

والسّمو قيمة وخلق رفيع من أثر حركة الرّوح الطّيبة الصّافية" تتجاوز ما هو معتاد عند أخلاق البشر وسلوكهم، حيث تطبع هذا الخلق بالنّبل والرّفعة والتمَيّز، فيصير نموذجا لتفرّده وتعاليه على السّقوط ورفضه للابتذال، وبذلك ينحاز لمجتمع يتصف بالسمو.[51]

للأميري شذرات في وصف هذه الحالة القدسية، ضمنّها أشعاره و تغنّى بها في قصائده، يقول:

قالوا اعتزلت فقلت: صنت كرامتي ولزمت في رهج الزحام إبائي

لاءمت بين تصرّفي وسجيتي وحفظت حقّ الله والعلياء

وذخرت نفسي للعظائم صابراً وطويت عن ذلّ الصّغار ردائي

قالوا: ألست تملُّ ! قلت: يملّ من قصرت أخادعه عن الجوزاء

إنّي لأغمض أعيني ومسامعي هرباً من الأبهاء والضوضاء.[52]

إنّ السموّ في نظر الأميري يبدأ من لحظة تخلي الإنسان عن شهواته ونزواته، والانتصار بإرادة وعزم على حالة الضّعف والهزيمة أمام الغواية والهوى، فتظهر الفطرة الشّفافة والرّوح الوثّابة، يقول:

كيف أنجو يا خالقي من شباب عارم عاصف التوثّب ضار

مستبدّ بكل ذرّات جسمي مستفزّ كوامن الأطوار

كلّما رمت كبته ثار جهلا وتخطى عقلي وأعيا وقاري

فأنا منه ما كبحت هواه في جموح وحدّة واستعار

كيف أنجو وإنّه مستقرّ في كياني وفي صميم نجارى

هومن طينتي التي لوّنتني ورمتني فريسة الأقدار

إنّه رجعة الصّدى لفحيح لاهب الذّات غاشم كفّار.[53]

إنّ التعمّق في العبادة والقيام بشروطها يطهّر النّفس من غرائزها الأرضية، ويفتح أمامها باب السّمو والرّفعة، يقول:

أيُّ سرٍّ يودي بدُنيا حُدودي كلَّما هِمتُ في تجلّي سُجودي

كيفَ تذرو "سبحانَ ربّي" قُيودي كيفَ تَجتازُ بي وراءَ السُّدودِ

كيفَ تسمو بِفطرتيْ ووجودي عن مفاهيم كونيَ المعْهودِ

كيفَ ترقى بِطينتيْ وجُمودي في سماواتِ عالمٍ من خُلودِ

أتُراها رُوحاً مِنَ المَعْبودِ قد جَلّت ذاتَها لِعينِ شهودي![54]

د - الصّفاء:

نقيض الكدر، والشّراب يصفو صفاءً وصُفُوّا وصفوة كلّ شيء خالصه، وهو مُصافاة المودّة والإخاء، وأصفيتُه الودّ أخلصته.[55]

إنّ الصّفاء صفة لتلك العلاقة الرّوحية بين الإنسان وغيره، حيث تنعكس على حركة الإنسان فتزيده همّة ونشاطا، إقبالا وحيويّة، والصّفاء يكاد يكون قريبا من الإخلاص واليقين والسّمو...

فها هو الشّاعر يربط بين صفاء الرّوح وصفاء الطبيعة لما لهما من علاقة مرتبطة في التأثير والتّأثر، يقول:

يقظة الفجر أيّ سرّ سنيٍّ في لحيظاتك العِذاب السّنيّة

أيّ روح يسري فينعشُ روحي في نُسيماتكِ اللّطافِ النّديّة

أيّ إشراق نشوة وصفاء في شعاعاتِ شمسكِ العسجديّة

أيّ مغنى من الجمال ومعنى لاح في غرّة الصّباح البهيّة[56]

ثالثا-خاتمة:

بعد ما مرّ معنا في هذا المقال، فإنّنا نخلص إلى جملة من النتائج الآتية:

1- الشاعر الكبير عمر بهاء الدّين الأميري، متشبع بقيم دينية وروحية عالية وأخرى إنسانية عميقة تظهر جلية في دواوينه المختلفة

2- يرى أنّ رسالة الشعر تكمن في بناء الإنسان عموما والمسلم خصوصا بناء يعتمد على القيم بشكل عام والقيم الروحية بشكل خاص

3- يوجّه إلى ضبط العلاقات التي تحكم سلوك الإنسان في حياته وتتويجها بالقيم الروحية العالية، حيث أنه يحتاجها في علاقته مع (الله) وعلاقته مع (الكون) وعلاقته مع (الانسان)

4- يؤمن بالقاعدة التي ترى أنّ القيم الإنسانية الصادقة تغذيها قيم روحية صافية وعميقة

5- يرى أن عذاب البشرية ومعاناتها وانتشار الآفات والضياع في أوساطها ناتج بالضرورة عن تخليها عن البناء الروحي والاغراق في الجري والتمسك بالمادي.

الهوامش:

[1]سورة الإسراء، الآية (85).

[2]سورة النساء: الآية (171).

[3]سورة النحل: الآية (2).

[4]سورة الشورى: الآية (52).

[5]سورة المجادلة: الآية (23).

[6]سورة الواقعة: الآية (89).

[7]سورة مريم: الآية (17)

[8]سورة الشعراء: الآية: (193).

[9]سورة النبأ: الآية: (4).

[10] تاج الإسلام أبو بكر محمد الكلابادي، التعرف بمذهب التصوف، تح: محمود أمين النوادي، ط1، 1969، ص83.

[11] ينظر ابن القيم الجوزية، الروح، تح: يوسف بديوي، دار ابن كثير، ط1 1993، ص 349.

[12]عبد الفتاح رواس قلعة جي، مدخل إلى علم الجمال الإسلامي، ، ، دار قتيبة للطباعة والنشر، ط،1991،1،ص 30،

[13]سورة الأنعام: الآية: 99.

[14]الأميري، مع الله (الديوان) ص:51.

[15] الأميري، المصدر السابق، ص:54.

[16]الأميري، المصدر نفسه، ص: 134-135.

[17]الأميري: مع الله ، ص:135

[18]وائل مصباح محمود العرين، القيم الروحية في شعر عمر الأميري، ص: 68

[19] الأميري، مع الله، ص55.

[20] الأميري، المصدر نفسه، ص 172.

[21]الأميري، قلب ورب، ص 113.

[22] الأميري، المصدر السابق، ص 115-116.

[23]الأميري، أذان القرآن، ص 70

[24] الأميري، قلب ورب، ص116-117.

[25] الأميري، آذان القرآن، ص127.

[26] الأميري، قلب ورب، ص34-35.

[27]الأميري: نجاوى محمدية، ص20.

[28]سورة المائدة: الآية 54.

[29]سورة العاديات، الآية: 08.

[30] ينظر: سيد بن حسين الغفاري، موارد الظمآن في محبة الرحمن، دار الأقصى، ص14.

[31]الأميري: مع الله، ص 59.

[32]الأميري: قلب ورب، ص 227.

[33]الأميري: المصدر نفسه، ص213.

[34] الأميري، المصدر السابق، ص 214.

[35]الأميري: نجاوى محمدية، ص33.

[36]سورة طه: الآية 123.

[37] ابن منظور: لسان العرب، ج/3، ص 262.

[38]الأميري، مع الله، ص 167-168.

[39] الأميري، نجاوى محمدية، ص 40.

[40]الأميري، مع الله، ص101.

[41]أنظر: الرسالة القشيرية، القشيري النيسابوري، ص 216.

[42]أنظر: المصدر نفسه، ص 121و215.

[43]سورة الواقعة الآية 95.

[44]الأميري، مع الله، ص67.

[45] الأميري، المصدر نفسه، ص94.

[46]أنظر الرسالة القشيرية ، النيسابوري، ص 207.

[47]الأميري: مع الله، ص78.

[48]الأميري، قلب ورب، ص 250/249.

[49] الأميري، المصدر السابق، ص26.

[50]ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج14، ص488.

[51]أحمد محمود خليل: النقد الجمالي، رؤية في الشعر العربي، ص12.

[52]الأميري، مع الله، ص 172.

[53] الأميري ، المصدر السابق ،ص69

[54]الأميري: المصدر نفسه، ص97.

[55]ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج/14، ص 570.

[56]الأميري، آذان القرآن، ص21.